وتواصل التدفق البشري من القرى باتجاه المدن الرئيسية وخاصة مدن الساحل.

ومن جهة اخرى، فقد واجهت جماهير الفلاحين الفلسطينية، ببساطة وعفوية، ومنذ البداية، محاولات الاستيلاء على اراضيها من جانب الهيئات الصهيونية المختلفة بهدف اقامة المستعمرات الاولى في فلسطين. وقد اوردت المصادر العبرية التي تناولت موجات الهجرة اليهودية الاولى الى فلسطين وبدايات الاستيطان اليهودي فيها، حوادث المصادمات العنيفة التي دافع خلالها اصحاب الارض الاصليين، عن حقهم التاريخي في الارض التي يفلحونها ويقيمون فيها، وموقف السلطات العثمانية المتخاذل الذي مكن المهاجرين اليهود من الاستيلاء على الاراضي عنوة او عن طريق الصفقات المشبوهة مع كبار الملاكين. وقد اغفلت دراسة د. قبانجي الاشارة الى دور المستعمرات الصهيونية الاولى في التمهيد لعملية اقتلاع الفلاحين الفلسطينيين من اراضيهم والحاقهم بسوق العمل المأجور في هذه المستعمرات وفي المدن الكبرى على حد سواء.

يتبين مما تقدم ان ما تعرضت له فلسطين لم يقتصر على عملية الالحاق والنهب الاستعماري الذي خضع له العديد من بلدان آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية خلال القرن التاسع عشر فقد ترافقت الاطماع الاستعمارية الاوروبية مع المخططات الصهيونية الاستيطانية لتجعل من فلسطين ـ بموقعها الاستراتيجي الممتاز ـ مركز تجمع للمهاجرين اليهود من مختلف انحاء العالم ونقطة انطلاق لتنفيذ المخططات الامبريالية المتعددة تجاه المنطقة بأكملها.

آثار التحالف الاستعماري ـ الصهيوني على فلسطين :

ادى الخلل الكبير في العلاقة بين الشرق والغرب الى الحاق اضرار عميقة الاثر في البنى الاقتصادية والاجتماعية السائدة في بلاد السلطنة العثمانية مع انعدام الفرصة تقريبا لتطور اقتصاد رأسمالي مستقل في هذه البلاد مع ما يعنيه ذلك على الصعيدين السياسي والاجتماعي ايضا.

ولم تكن فلسطين استثناء لهذه القاعدة بل لعلها كانت المثال الاكثر حدة ووضوحا نظرا لموقعها المركزي في المخططات الاستعمارية والصهيونية. وسوف نعرض هنا، بشيء من الايجاز، ما تعرضت له مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية في فلسطين من تغيرات عشية الحرب العالمية الاولى.